

### • المنهج الاجتماعي عند العرب المحدثين:

يُجْزَأ الإطلاع عن المنهج الاجتماعي في إطاره العربي الحديث إلى تقليب الأوراق بحثاً عن أعماله عربية في ميدان اجتماعية الأدب وعلاقاته السوسولوجية حيث يسقط النظر على أسماء أدباء كان للمنهج الاجتماعي حظاً وافراً في أعمالهم الأدبية فقد تعرض له كل من: "لويس عوض" و"محمود أمين العالم" و"عبد المنعم تليمة" و"عبد المحسن بدر" وغيرهم. فها هو ذا "لويس عوض" يجري بحثاً عديدة تهتم أساساً بإبراز تأثير الوسط الاجتماعي على الأثر الأدبي، فهو يحاول الربط بين الأدب والسياسات الاجتماعية، والتاريخي عن طريق الاستعانة بمنهج التفسير. إذ يرى أن الأدب نشاط لا ينفصل عن المجتمع وأنه إحدى أدوات التعبير الاجتماعي.

حيث اهتم بالعوامل المؤثرة على تطور الأدب واهتم أيضاً بدراسة تاريخ الأدب المصري، وقد كان "عوض" متحمساً للمنهج التاريخي والاجتماعي لتعليل الصلة بين الأثر الأدبي، والمجتمع ليقضي على النزعات المثالية والميتافيزيقية التي توجد في النقد الأدبي، ليحوله أشد ميلاً إلى الملاحظة العلمية.

إن "لويس عوض" يعزو أن وظيفة الأدب تتمثل في تجديد الحياة عن طريق الخلق وترقيتها، بمعنى أن يزيد لها خصوبة وتطوراً وهذا اشتمل في رأيه المجتمع والإنسان نفسه فالخصائص الإنسانية العامة لها أولوية في نظره عن الخصائص الطبقية أو الفردية الخاصة لأنه يتبنى وجهة النظر القائلة: الأدب في سبيل الحياة، لا في سبيل المجتمع، والقول بأن الأدب في سبيل الحياة يتضمن الجانبين: الفردي، الاجتماعي، الفكري، والمادي.<sup>1</sup>

وحين يحلل الأثر نراه يوجه اهتمامه الرئيسي نحو مضمونه وحده نظراً لأنه يعتبر أن المحتوى مقدم على البناء، أو يجب أن يكون كذلك، لأنه سبق في الوجود، من ناحية ولأنه يحدد الشكل من ناحية أخرى.

واهتم "محمود أمين العالم" بإجراء دراسات على عدد من الأدباء في النصف الأول من هذا القرن. وكانت نقطة البدء عنده فكرة أساسية مؤداها: أن الأدب للمجتمع والتغيير الاجتماعي، وأن مضمون الأثر هو الذي يستطيع وحده تحقيق هذه

<sup>1</sup>: ينظر: سمير سعيد حجازي، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع سورية، دمشق، ط1، ص94.

الغاية. ودفعته نزعتة الماركسية إلى محاولة صياغة آراء ماركس في الفن والأدب صياغة دقيقة، فاستطاع في دراساته أن يصل بهذا المفهوم إلى درجة مرضية من الدقة.

إذ رأى أن مضمون الأثر الأدبي يعكس الواقع، ويعكس مواقف اجتماعية معينة، وأن البناء الفني ليس سوى تشكيك لهذا المضمون ثم واصل البحث في مسألة النقد الاجتماعي الأدبي، ونال تحليل مضمون الأثر حصة الأسد في معظم دراساته، كان يرجو على الدوام أن يضع هذا المفهوم في صيغ عامة.

وأجرى "عبد المنعم تليمة" بحثاً عديداً يحدد من خلالها طبيعة العلاقة بين الأدب والمجتمعات القديمة معتمداً في ذلك على التفسير المادي للتاريخ، فالظاهرة الأدبية من منظوره لا يمكن فهمها إلا من زاوية ارتباطها بالعناصر الحضارية الأخرى التي نشأت فيها، نظراً لأن هناك تشابك وتداخل بينها وبين هذه العوامل التي إذا عزلت عن الظاهرة الأدبية أو الفنية، أصبحت هذه الأخيرة مسيرة وفق قوانين ذاتية، وذلك يؤدي على رآيه إلى تفسيرها تفسيراً داخلياً مغلقاً.<sup>1</sup>

كما تناول "عبد المحسن بدر" في دراساته نوعية الصلة بين الكاتب والواقع أما "رجاء عيد" عني يبحث عن قضية التزام الكاتب والناقد بقيم وبظروف المجتمع، دون أن يفقد استقلاله الذاتي.

والخطأ الذي وقع فيه هذا الاتجاه - كما يرى سمير سعيد حجازي - أنه لم يستعن بالأسس النظرية والعملية السوسيولوجية في تفسير العلاقة بين الأثر والمجتمع، كما هو الحال بالنسبة للباحثين في ميدان السوسيولوجيا حيث لم يستعينوا بالمعرفة النظرية والعملية للنقد الأدبي. وقد أدى هذا الوضع إلى ضرورة ظهور منهج تكاملي جديد يعتمد على النظرية السوسيولوجية، والنظرية الأدبية في وقت معاً، ويتجه نحو دراسة العلاقة بين الحياة الاجتماعية والإبداع الفني أو الأدبي عن طريق تحليل البنى الأدبية أو الفنية والبنى الاجتماعية.<sup>2</sup>

وهكذا كان للعرب المحدثين بصمات في ميدان سوسيولوجيا الأدب وعلاقاته الاجتماعية وهذا بصفة عامة، كما أنها تخلو من اهتمام الأدباء والمفكرين العرب الجزائريين كتاباً ونقاداً فقد كانت لهم فرصة في إضفاء لمسألتهم في المجال وعليه فإن محاولة التأريخ للاتجاه النقدي الاجتماعي الجزائري ترتبط لا محالة بتلك الأعمال النقدية المكتوبة خلال المرحلة العصبية من تاريخ

<sup>1</sup>: ينظر: المرجع السابق، ص 94، 95.

<sup>2</sup>: ينظر المرجع السابق، ص 95.

الجزائر التي عانى فيها الجزائريون ويلات الاستعمار بكافة أساليبه ومخلفاته بعد جلالاته فنجد أنفسنا نسلط الضوء على أسماء خلدتها أعماله في هذا المجال، نذكر منهم "محمد سعادي" الذي يركز على المجموعة القصصية "الشهداء يعودون هذا الأسبوع" باعتبارها عملاً محفزاً على الخوض في غمار النقد الاجتماعي إذ يقول: (فإن الشهداء يعودون هذا الأسبوع كانت أول حافز لتبيان الطريق من أجل النقد الاجتماعي البناء والصراحة الممتزجة بالجرأة عند القول، وهو بذلك يكون قد زاد القافلة تقدماً ودحساً ودعموا نحو باحة التقييم والإصلاح وقول الحق والدفاع عنه مهما كانت الأمور)<sup>1</sup>.

إذ يقوم "محمد مصايف" بتحديد بداية التوجه النقدي الاجتماعي بانتقال الشعوب من طور متحسّس الذات وتفحص الداء وصياغة المشاكل إلى مرحلة ما يسميه "الكفاح الواعي الحقيقي"، حيث انتقل الأديب تبعاً لهذه الانتقالية إلى مرحلة الواقعية الاشتراكية. يلازمه في ذلك الناقد بشكل دقيق وواضح ليؤكد على استشراف النقد الاشتراكي الذي أضحى غالباً على جميع المناهج النقدية إذ يقول: (وبعد انتقال الشعوب من طور تحسن الذات، وتحديد المشاكل الاجتماعية والسياسية التي كانت تعاني منها إلى مرحلة الكفاح الواعي الحقيقي على جميع الجهات انتقل معها الأدب العربي إلى مرحلة الواقعية والاشتراكية، أو مرحلة الالتزام والإيجابية وكان طبعياً أن ينتقل الناقد بدوره إلى هذه الدورة، فتأكدت نظرة الواقعية الاشتراكية في النقد..... وبهذا عاد النقد الاشتراكي، أو نقد الجدلية الماركسية، فهو الغالب على جميع المناهج النقدية في الأدب العربي الحديث)<sup>2</sup>.

وقد اتفق على هذا الرأي كل "محمد مصايف"، "وعمار بلحسن" الذي يعزو هو أيضاً أن ظهور الاتجاه الماركسي جاء إلا من باب (تبعية الاتحاد السوفياتي سابقاً والتخندق تحت لواءه، حيث يؤكد على انتصار ثورة أكتوبر السوفياتية وسيادة البروليتارية أدى إلى ظهور هذا التوجه فالكثافة في الأدب عموماً والكتابة الروائية على وجه الخصوص كانت قصد تجاوز ذلك التنافر بين الفرد والمجتمع وذلك لإعادة تكوين الروح الملحمية حيث يتخذ الأنا بالآخر والفرد بالجماعة)<sup>3</sup>.

أما "محمد بوشحيط" فهو ليس ببعيد عن هذا إذ يؤكد على ظهور مرحلة جديدة وتجربة نوعية بعد الحصول على الاستقلال، التي تفرض - برأيه - الانتقال إلى الضفة الأخرى، ولا نعتقد أن الضفة الأخرى إلا تجربة الكتابة الجديدة التي تعبر

<sup>1</sup> محمد سعادي: الشهداء يعودون هذا الأسبوع، مجلة الثقافة والثورة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ع، 11، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ص، 84.

<sup>2</sup> محمد مصايف، دراسات في الأدب والنقد، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988م، ص، 35.

<sup>3</sup> ينظر: عمار بلحسن، الأدب والايديولوجيا، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1984، ص، 2، 25.

عن معاناة ومقاساة شعب تكالبت عليه قوى القهر والظلم.(وبالحصول على الاستقلال تبدأ مرحلة جديدة ونوعية، تقضي الانتقال إلى الضفة الأخرى من النهر لأن النهر عادة له نبع واحد،ولكن لديه روافد وجداول عديدة،ترفده وتغنيه . ومن هنا ظهرت إشكالية كتابية جديدة،شكلا ومضمونا،لتعبر عن عالم جديد.)<sup>1</sup>

<sup>1</sup> محمد بوشحيط، الكتابة لحظة وعي، مقالات نقدية ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984،ص83.